

تفسير السعدي

@ 378 @ به يستهزئون) ^ من العذاب ، حيث تهاونوا به ، حتى جرموا بكذب من جاء به .
^ (ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور * ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور * إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير) ^ يخبر تعالى عن طبيعة الإنسان ، أنه جاهل ظالم ، بأن
□ إذا أذاقه منه رحمة ، كالصحة والرزق ، والأولاد ، ونحو ذلك ، ثم نزعها منه ، فإنه يستسلم لليأس ، وينقاد للقنوط ، فلا يرجو ثواب □ ، ولا يخطر بباله أن □ سيردها ، أو مثلها ، أو خيرا منها عليه . وأنه إذا أذاقه رحمة من بعد ضراء مسته ، أنه يفرح ويبطر ، ويظن أنه سيدوم له ذلك الخير ويقول : ^ (ذهب السيئات عني ، إنه لفرح فخور) ^ أي : يفرح بما أوتي مما يوافق هوى نفسه ، فخور بنعم □ على عباد □ وذلك يحمله على الأشر والبطر والإعجاب بالنفس ، والتكبر على الخلق ، واحتقارهم ، وازدراؤهم ، وأي عيب أشد من هذا ؟ وهذه طبيعة الإنسان من حيث هو ، إلا من وفقه □ ، وأخرجه من هذا الخلق الذميم إلى ضده ، وهم الذين صبروا أنفسهم عند الضراء ، فلم ييأسوا ، وعند السراء ، فلم يبטروا ، وعملوا الصالحات من واجبات ومستحبات . ^ (أولئك لهم مغفرة) ^ لذنوبهم ، يزول بها عنهم كل محذور . ^ (وأجر كبير) ^ وهو : الفوز بجنات النعيم ، التي فيها ما تشتهي النفس ، وتلذ الأعين . ^ (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير و□ على كل شيء وكيل * أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون □ إن كنتم صادقين * فإلم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم □ وأن لا إل ه إلا هو فهل أنتم مسلمون) ^ يقول تعالى مسليا لنبيه محمد صلى □ عليه وسلم عن تكذيب المكذبين : ^ (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز) ^ ، أي : لا ينبغي هذا لمثلك ، أن قولهم يؤثر فيك ، ويصدك عما أنت عليه ، فتترك بعض ما يوحى إليك ، ويضيق صدرك لتعنتهم بقولهم : ^ (لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك) ^ . فإن هذا القول ناشء من تعنت ، وظلم ، وعناد ، وضلال ، وجهل بمواقع الحجج والأدلة . فامض على أمرك ، ولا تصدك هذه الأقوال الركيكة التي لا تصدر إلى من سفيه ولا يضق لذلك صدرك . فهل أوردوا عليك حجة ، لا تستطيع حلها ؟ أم قدحوا ببعض ما جئت به قدحا ، يؤثر فيه ، وينقص قدره ، فيضيق صدرك لذلك ؟ أم عليك حسابهم ، ومطالب بهدايتهم جبرا ؟ و ^ (إنما أنت نذير و□ على كل شيء وكيل) ^ فهو الوكيل عليهم ، يحفظ أعمالهم ، ويجازيهم بها أتم الجزاء . ^ (أم يقولون

افتراه) ^ أي : افترى محمد هذا القرآن ؟ فأجابهم بقوله : ^ (قل) ! 2 2 ! (فأتوا
بعشر سور مثله مفتریات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) ^ أي : إن كان قد
افتراه ، فإنه لا فرق بينكم وبينه في الفصاحة والبلاغة ، وأنتم الأعداء حقا ، الحريصون
بغاية ما يمكنكم على إبطال دعوته ، فإن كنتم صادقين ، فأتوا بعشر سور مثله مفتریات . ^
(فإن لم يستجيبوا لكم) ^ على شيء من ذلكم ^ (فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) ^ من عند
الله ، لقيام الدليل والمقتضى ، وانتفاء المعارض . ^ (وأن لا إله إلا هو) ^ أي : واعلموا
^ (أنه لا إله إلا هو) ^ أي : هو المستحق للألوهية والعبادة ، ^ (فهل أنتم مسلمون) ^
أي : منقادون لألوهيته مستسلمون لعبوديته . وفي هذه الآيات ، إرشاد إلى أنه لا ينبغي
للداعي إلى الله ، أن يصدّه اعتراض المعارضين ، ولا قدح القادحين . خصوصا ، إذا كان القدح
لا مستند له ، ولا يقدر فيما دعا إليه ، وأنه لا يضيق صدره ، بل يطمئن بذلك ، ماضيا على
أمره ، مقبلا على شأنه . وأنه لا يجب إجابة اقتراحات المقترحين للأدلة التي يختارونها ،
بل يكفي إقامة الدليل ، السالم عن المعارض ، على جميع المسائل والمطالب . وفيها أن هذا
القرآن ، معجز بنفسه ، لا يقدر أحد من البشر أن يأتي بمثله ، ولا بعشر سور مثله ، بل ولا
سورة من مثله ، لأن الأعداء البلغاء الفصحاء ، تحداهم الله بذلك ، فلم يعارضوه ، لعلمهم
أنهم لا قدرة فيهم على ذلك . وفيها : أن مما يطلب فيه العلم ، ولا يكفي غلبة الظن ، علم
القرآن ، وعلم التوحيد ، لقوله تعالى : ^ (فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) ^ وأن لا إله إلا هو
(^ . ^ (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا
يبخسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا
يعملون) ^ يقول تعالى : ^ (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) ^ ، أي : كل إرادته
، مقصورة على الحياة الدنيا ، وعلى زينتها